المسلمون يدخلون النار! لماذا؟

أنيس منصور

لقد تأكد لدول الخليج الآن أنه لاصداقة لقوى . فالصديق إذا أصبح قويا ابتعد عنك ، أو أبعدك عنه أيضا . تماما كمسايرة الأسد : فأن تمشى أمامه أو وراءه أو إلى جواره فسوف تكون النهاية فى داخله – داخل إيران أو العراق . .

وإذا كانت الحرب بين العراق وإيران لم تؤد إلى أن يكون أحدهما سيد الخليج . فهل يقوم الاثنان معا بالدور الهزلى لرئيس جمهورية « سان مارينو » التى تقع فى إيطاليا . فلها رئيسان كل واحد منهما يحكم لمدة ستة أشهر – هذا فى سان مارينو ، وليس فى الخليج ، حيث البترول والدين والخوف . . فهى جميعا تخاف أن تكون طرفا ، فيؤدى ذلك إلى تصعيد القتال ، واحتراق البترول واحتراقها أيضا . .

ولذلك فالشئ الواضح ليس فى أرض الخليج ولافى مائه إنما فى سمائه : سحب سوداء تؤكد أن تحتها نارا . وأن هذه النار لن تخمد قبل وقت طويل . وإذا خمدت النار . فقد اشتعلت النزعات الدينية والقومية والشعوبية بين إيران الآرية والعراق السامية وبين الأقليات الكثيرة التى تنتظر فرصتها فى أن يكون لها حكم ذاتى . .

ولأن هناك مفاجآت كثيرة قد لفتت العيون التى ترقب خريطة الخليج ، فلابد أن يعاد « تفنيط » أوراق اللعب مرة أخرى . . ولابد أن يعاد توزيع مقاعد المتفرجين والحكام والمشجعين والمساهمين فى مباراة الدين والبترول على كأس الخليج الفارسى . . أو الخليج العربى . . أو الخليج . !

ججج

فى بداية العام الماضى تحدث الرئيس السادات إلى شاه إيران ووصف له المنطقة بأنها أقرب مانكون إلى السجادة العجمية ، متعددة الألوان ناعمة الملمس قوية القتلة . ولكن هذه النعومة تخفى عنفا ، وهذه الألوان تحتجز دما ، وأنه لابد أن تتمزق هذه السجادة بفعل صانعيها . .

وسبب ذلك بالحساب الصحيح للرئيس السادات : أن هذه الشعوب قد أخطأت تقدير موقفها . وانساقت وراء الخوف إلى التهور . وأنهم جميعا أغنياء بلا قضية ، وإذا اتخذوا قضية فهى قضية مستعارة ! . .

ولم يمض وقت طويل حتى تمزقت السجادة العجمية ونضحت بالدم ، وتداخلت معالمها فى دخان الآبار ونارها . .

فدول الخليج تخافة تحت جلدها – أى خوفها داخلى . . وتخافة أن تتقارب تماما . كما تخاف التفكك أن يتقارب فيدمى بعضه بعضا . .

فالعراق له مطالب معروفة فى الكويت . .

وإيران لها مطالب فى البحرين . .

وفى السعودية صراعات قبلية بينها وبين الإمارات المتحدة . ، وبين المتشددين والمعتدلين . .

وبين اليمن واليمن ، وبين اليمن الجنوبية وسلطنة عمان . . .

وفى العراق بين الأكراد السنيين وبين العرب الشيعة . وبين العرب السنيين والعرب الشيعة أيضا .

فى الجزائر سنة ١٩٧٥ وقعت اتفاقية بين العراق وايران . بين الشاه وصدام حسين .

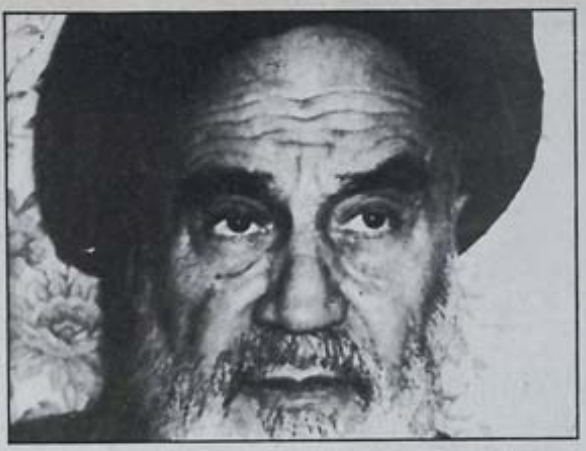

هل أدت الخطة التى وضعها الشاه إلى إطالة عمر الامام الخومينى ؟

وثلث سكان الكويت من الفلسطينيين .

والذين هم أبعد نظرا يرون أن الخوف تحت الجلد يقابله خوف فى العظام ، وذلك عندما يهتدى العالم الغربى الى مصادر أخرى للطاقة تغنيه عن استخدام البترول العربى . .

ججج

فهل لأسباب صغيرة تقوم حروب كبيرة ؟ . . هل يعود كبريت تشتعل كبرى الحرائق ؟ . ممكن .

فلم نعرف فى التاريخ الحديث أن حربا قامت للأسباب التافهة التى أعلنها الرئيس صدام حسين والإمام الخومينى . . فعندما وقع اعتداء على السيد طارق عزيز ، صديق الرئيس صدام ، أعلن : لابد أن أنتقم ! . .

وعندما طرد الإمام الخومينى من العراق أعلن فى باريس : لابد أن انتقم . واتفق الاثنان ، رغم مابينهما من خلاف ، على أن الحرب بينهما : هى فرصة ذهبية ادخرتها الأجيال وبعدها الجنة لكل إيرانى ، والرفاهية لكل عراق ، وتاج الخليج لمن ينتصر فى النهاية – وما أبعد النهاية ؟ . .

ججج

فى سنة ١٩٣٧ عندما كانت بريطانيا تحتل العراق وقعت اتفاقية بين العراق وايران . وحسم الخلاف بينهما عند شط العرب ، حيث يصب الدجلة والفرات ، وعند الحدود أيضا . .

ثم ألغيت هذه المعاهدة بعد ذلك بأربعين سنة . . حين أعلن العراق أنه لايلتزم بها . .

وفى سنة ١٩٧٥ اتفق شاه إيران مع صدام حسين نائب رئيس جمهورية العراق على أن تكف إيران عن مساعدة الأكراد . أما الثمن فهو نصف شط العرب وجزء من رسوم المرور التى تدفعها السفن ، ومساحة ٢٠٠ كيلو متر مربع من العراق لايران . .

وانتهت حرب الأكراد ضد الحكومة العراقية التى استمرت ١٤ عاما . وتأكد أن إيران هى سيدة الخليج . وقبل ذلك وبعد مهرجانات قورش التى أكل فيها الملوك والرؤساء لحم الطاووس ، قفزت إيران على ثلاث جزر تابعة للبحرين . قال لى الشاه فى حديثى معه : إنه لم يغتصب هذه الجزر التى كانت تحتلها بريطانيا ، إنما استردها مما شأن الدول العربية جميعا ؟ ! . .

وكان لابد للجيش العراقى المحارب منذ ثمانية أسابيع أن تتخذ شعارا تقوى به حجتها أو تبرر به أخطاءها بعد ذلك . فكان الشعار الأول : أن العراق عندما كان ضعيفا قد أعطى .

ولابد أن يسترد ماأعطاه بعد أن ضعفت إيران . وإذا لم يكن هذا سببا كافيا . فهناك خلافات تاريخية . فقد كان العراق جزءا من الدولة الساسانية الفارسية . ثم حارب حتى انتصر فى معركة القادسية سنة ٦٣٧ ميلادية . وليست هذه الحرب الأخيرة إلا القادسية الثانية ! . .

وإذا كان العراق فى ذلك مجموعة من القبائل انتصرت فى القادسية الأولى ، فإنها اليوم دولة قد أنفقت عشرة آلاف مليون دولار على التسلح الروسى المتطور من طائرات الميج والدبابات ت ٦٢و٧٢ ، كما أن ضباطها قد تدربوا جيدا فى الاتحاد السوفيتى . ومن المؤكد أن العراق سوف يلقى مددا من الذخيرة والعتاد سرا . .

ولم يكن من المتوقع أن تطول هذه الحرب أكثر من أسبوع واحد . ولكن تصاعد العمليات الحربية وإصابة الأهداف الحيوية ، وإثارة النعرات القومية والوطنية ، قد عوضت الدولتين عن نيران البترول بحماسة الجماهير والمقاتلين . .

ولكن الموقف العراقى هو الأضعف منذ البداية . فقد اتجه العراق مباشرة إلى مجرى شط العرب والمدن البترولية المجاورة . وأصاب الآبار والأنابيب ، فردت إيران بإحراق الآبار والأنابيب والمصانع أيضا .

وهرب سلاح الطيران العراقى إلى الأردن ، وهربت قطع الأسطول العراقية إلى اليمن الجنوبية . بعد أن هددت إيران بضربها على أية أرض وأى بحر ! . .

وكان من أهداف العراق أن تجهز على إيران الممزقة المهارة . وذلك بإشعال النار فى السجادة العجمية . فينفصل البالوش والعرب والأكراد . ونسى العراق أنه إذا شجع أكراد إيران على الانفصال والحكم الذاتى . فإنه يكون قد استضاف أكراد العراق فى نادى الحكم الذاتى أيضا ! . .

ولسبب ليس واضحا أطلقت الصحف الفرنسية – وحدها – على الرئيس صدام حسين اسم « بسمارك العرب » أو الذى يريد أن يكون ذلك . ولانعرف وجه الشبه بينه وبين بسمارك الذى أهان فرنسا وهزمها فى حرب سنة ١٨٧٠ ، والذى وحد ألمانيا وجعلها قوة كبرى هوايتها ضرب فرنسا كلما استطاعت إلى ذلك سبيلا ! . .

ولابد أن الفرنسيين يقصدون بذلك طموح صدام حسين فى أن يستولى على دول الخليج الصغيرة وأن تنافقه الدول الكبيرة ! .

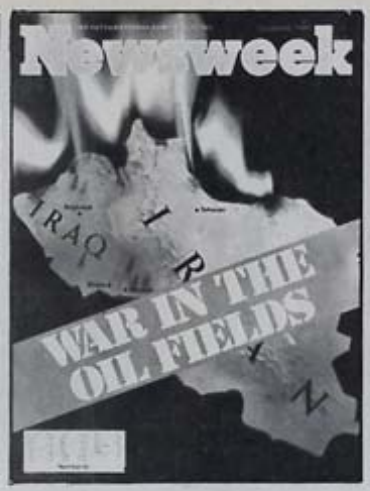

حرب العراق وإيران هى غلاف كل المجلات العالمية . التايم الأمريكية . حرب فى الخليج . والنيوزويك الأمريكية : حرب فى آبار البترول . والايكونومست البريطانية . ما ألطف ما يفعله البترول فى مثل هذا المكان ! والهوان الفرنسية . ايران والعراق . من الذى يستفيد من الحرب ؟ مجلة الفيجارو الفرنسية : ايران والعراق . صفقة الى الخومينى

والمفاجأة الكبرى فى حرب الدولتين المسلمتين هى إيران نفسها . فقد تشرد الشعب الايرانى الذى عطل يديه وعقله وأشعل النار فى حناجره يهتف للشاه بالموت ويسد فى وجهه الطريق إلى الآخرة . ويدعو الله أن يضيف إلى عمر الإمام الخومينى كل ماحذفه من أعمار خصومه فى السياسة والدين – وبذلك يصبح الإمام الخومينى أبديا – أى الإمام الغائب إلى الأبد – أى الذى غاب عن الموت . أو غاب الموت عنه . .

فقد فوجئ العالم كله بسلاح الطيران الايرانى قويا نشيطا بطائراته الفانتوم ف ٤ و ف ٥ و ف ١٤ . تضرب أهدافا ممينة فى بغداد والبصرة والموصل وكركوك وأربيل . ومع الطائرات ارتفع المد الوطنى والمذهبى . وبلغ من حماسة الايرانيين أن أسقطوا أول طائرة إيرانية ف ٤ عندما هبطت فى مطار مهر آباد بالقرب من طهران – فقد ظنوها روسية عراقية ! . .

والذى أدهش العالم هو أن نشاط الطيران يؤكد أن هناك « خطة جاهزة » من أيام الشاه لضرب العراق . وأن الايرانيين أخرجوها بسرعة وطبقوها حرفيا . .

وتوقف ضخ البترول العراقى عن الأنابيب إلى سوريا وإلى تركيا . وتوقفت أعمال المصانع البتروكيميائية . . وأظلمت مدن عراقية تماما . فقد انهدمت محطات الكهرباء . فلم يعد ظلام السحب السوداء فى السماء . إلا انعكاسا لسواد الأرض . فأصبحت العراق وايران تعيشان بين ظلامين فى الأرض وفى السماء . .

ويقال إن عددا من الطيارين الايرانيين والضباط الذين هربوا من الخومينى قرروا العودة لأسباب وطنية . .

حتى أن الأمير رضا بهلوى أبدى استعداده فى العودة إلى إيران طيارا مقاتلا – فقد تعلم فى أمريكا على طائرات الفانتوم ١٤ . .

والمفاجأة الثانية فى إيران . أن الحرب طالت أكثر مما كان متوقعا !

فقد أعلن الخبراء الأمريكان أن إيران ليست لديها قطع غيار . وكان الخبراء الأمريكان عندما خرجوا من إيران قد أكدوا امتلاء المستودعات بالذخيرة . وأن كميات كبيرة من قطع الغيار قد بيعت وسرقت واحترقت أيضا . .

كما أن الأقمار الصناعية الأمريكية قد صورت . الهيئة العسكرية . للبلدين يومى ١١ و ١٢ سبتمبر . وجاءت هذه الصور تبين أن قوات قليلة هى التى تقف وجها لوجه . أما بقية القوات فى ساكن متفرقة من إيران خوفا من تحريكها . فتلوح فتنة داخلية انفصالية بين القوميات المختلفة فى إيران . أو انقلاب عسكرى ضد الخومينى

ولكن من المؤكد – الآن – أن إيران قد حصلت على قطع الغيار من تركيا ومن باكستان .

وأن الرئيس القذافى هو الذى دفع الثمن !

إذن فإيران تستخدم خطة « سابقة التجهيز » .

فهى اليوم تحارب بسلاح الشاه وفلسفته . فكأن الشاه الذى مات . قد انتقد إيران من الخوان العراق . فأطال فى عمر الخومينى . .

وقد دفع شاه إيران سنة ١٩٧٧ لأمريكا ١٥٠ ألف مليون دولار ثمنا لأسلحة متطورة . من بينها ١٧٠ مليون دولار ثمنا لقطع الغيار فقط ! !

وكان فى إيران ٤٠ ألف خبير أمريكى . وفى نفس السنة سافر الشاه إلى واشنطون يطلب محطات إنذار مبكر . وشحنت إلى طهران فى طائرات بوينج . كما طلب ٢٨٩ مدفعا تحمل رءوسا نووية . . وطلب أسلحة تلمانى مدمرات . .

أما سلاح الطيران الايرانى القادر على القتال فهو ١٨٨ ف ٤ و ١٦٦ ف ٥ و ٧٧ ف ١٤ . وقد استخدمت ايران فى ضربها للأهداف العراقية الطائرات ف ٤ القادرة على « الضرب والهرب » – أى الكر والفر . .

والآن إذا لم يتمكن بسمارك العرب من الاستيلاء على بترول العرب أى ١٤ مليون برميل يوميا أو يتحكم فيها . فإنه الآن قد عطل حركتها فى مضيق هرمز . وليس على العالم كله إلا أن يجلس على ٤٠٠ مليون برميل أخرى هى كل مالديه من احتياطى يكفيه أسبوعا واحدا .

ولا لوم على الدول العربية كلها . فليس فى استطاعتها أن تفعل أكثر مما فعلت أو أكثر مما لم تفعل . فلم يكن فى مقدور أحد أن يؤيد إيران أو العراق . لأنهما شر لابد منه . ولذلك أيدت الدول العربية العراق تليفونيا . . فليس فى مقدورها أن تساندها عسكريا ماعدا الأردن الذى لايضر ولاينفع . والبعيد تماما عن ميدان القتال . والمختلف تماما مع سوريا المتحدة مع ليبيا المؤيدة لايران ضد العراق ! !

وكانت السعودية قد اتحدت مع العراق فى سنة ١٩٧١ فى اتفاقية أمن . ثم عادت فجددت هذا الاتفاق بعد خروج الشاه . ولما خافت السعودية من أن يؤدى هذا الموقف إلى استعداء ايران . اتجهت إلى أمريكا علنا تطلب حمايتها . وأكدت أمريكا أنها لا تستطيع ذلك دون أن تتوقف طائراتها فى مصر – فى قنا وعلى البحر الأحمر حيث الوقود والخبراء وأجهزة المتابعة الأرضية .

ووافقت السعودية كما وافقت قبل ذلك على استعراض للطيران الأمريكى فى سمائها بعد ثورة الخومينى .

فاللهم لاشماتة فى أحد . فكلنا عرب وكلنا مسلمون .

ولكن لم يضف هذا الموقف الجديد شيئا إلى سياسة مصر . إنما أكد صحة ماتوقعه الرئيس السادات فى أوائل العام الماضى وأوائل هذا العام أيضا من أنه بغير مصر لاحرب . وبغيرها لاسلام . وليس ذلك يسعد مصر . ولكنه يثقل كاهلها ويشده أيضا . فلا حيلة لها فى أنها كبرى الدول العربية . كما أن

السعودية أكثرها مالا ، وسوريا أعمقها نفاقا ، ولبنان أشدها تمزقا ، وليبيا أعنفها إرهابا ، والأردن أكثرها استغلالا ، وكيانات الخليج أعظمها فزعا . .

ةةة

وقد دفعت أمريكا وروسيا أمام الخليج بحاملات الطائرات والمدمرات وقوات البحرية . . فلأمريكا ٣ حاملات للطائرات و ٣٠ قطعة بحرية و ١٨٠٠ من مشاة البحرية . . وطائرات أواكس أى محطات إنذار مبكر محمولة جوا فى السعودية وفى عمان .

أما الاسطول السوفيتى أمام الخليج فيضم ٢٨ قطعة بحرية يمكن أن تزيد فى وقت قصير . فالروس لهم إسطول فى اليمن الجنوبية . كما أن لهم قوات على حدود إيران وأفغانستان وفى أثيوبيا .

وقد أعلنت الدولتان حيادهما فى مواجهة العراق الذى يحارب بأسلحة سوفيتية « ويسحل » الشيوعيين فى نفس الوقت ، وفى مواجهة إيران المسلحة أمريكيا وتحتجز الرهائن الأمريكان وتتهم أمريكا بأنها وراء الغزو العراق . .

وبسبب الموقف المعقد عربيا وإسلاميا وبتروليا ، فقد أعلنت الدولتان العظميان أنهما تريدان للنار أن تخمد – النار التى فى الآبار فقط ! ! . . وفى نفس الوقت لن تسمح أمريكا لأحد بأن يغلق مضيق هرمز ، أو ذلك « الشريان الناجى » للبترول . . دم الحضارة الغربية . .

وكأن الغرب كله يعلم أن هذه الحرب لن تطول . لأنها بلا قضية واحدة . وليست لها فائدة مؤكدة . ولذلك لم تتأثر كثيرا بورصة العقود فى لندن وطوكيو ونيويورك . .

ةةة

وليس لدى مصر الكثير الذى تقوله فى معايشة هذه المأساة الإسلامية . فقد أعلنت مصر كثيرا يأسها من أن يصارح العرب بعضهم بعضا . وأن يتخذوا موقفا واحدا ضد أى رأى أو أى أحد : ضد السلام أو ضد مصر . فلا عجزهم عن تحقيق السلام قد وحد بينهم ، ولاخصومتهم مع مصر قد ضمت التصدى إلى التحدى . لينفرد العرب بحرب إسرائيل ويستخلصوا منها القدس والضفة والقطاع ، ولاسكتت المدافع فى لبنان ، ولا أوقفت الحنازات فى سوريا ، ولا انفضت معسكرات التدريب على الترهيب فى ليبيا ، ولامنعوا الحرمات من أن تنتهك فى الشهر الحرام فى البيت الحرام ، ولاساندوا المسلمين فى أفغانستان ضد روسيا الملحدة . .

ولاهم اليوم قادرون على فعل شئ لأحد منهم ، أو ضد أحد منهم . إنه الشلل العربى . وهذه هى الحالة التى اتفقوا على التردى إليها .

فالدول العربية تفرق بينها لغة واحدة وأرض واحدة وتاريخ واحد ، ومصير واحد . .

ولكن ماحدث فى أفغانستان وفى إيران وبين العراق وايران يجعلنا نحن العرب أقرب إلى بعضنا البعض من أى وقت مضى . فالقضية هى الفشل الواحد لنا جميعاً . فشل فى أن نجعل السلام طريقاً إلى الاسلام . وفى أن يكون الاسلام طريقاً إلى السلام . .

وفى الأسبوع الماضى قلت إن هناك وسيلة واحدة لإنهاء الحرب وذلك بأن يعلن أحد الطرفين أنه انهزم . أوكاد . ولاشك أن قبول العراق لوقف إطلاق النار هو هذا المعنى . أما الشروط التى يتحدث عنها العراق فهى ستار يخفى سقوط بسمارك . .

كما أن الشروط التى يتحدث عنها الامام الخومينى هى أيضا تخفى فشله الداخلى فى انتصاره الخارجى . حتى هذا النصر ليس إلا مقدمة لموس دينى وجنون شعوبى جديد !

وكما أن الحرب لاتبدأ عند بدايتها إنما قبل ذلك بكثير . فإن الحرب لاتنتهى عند نهايتها . إنما بعد ذلك بكثير أيضا . .

فمن السهل إصلاح الآبار . ولكن من الصعب إصلاح أرصفة شحن ناقلات البترول لأن ذلك يستغرق سنوات عديدة . .

وإذا كان لابد من استخلاص عبرة من هذا الذى جرى ، أى الدم الذى جرى والبترول الذى توقف ، فإنه لاتوجد قوة فى العالم تستطيع أن تتحكم فى حركة البترول من الشرق إلى الغرب – لا الدول الكبيرة ولا الدول الصغيرة . وأن الدول كلها ، صغيرة وكبيرة عاجزة عن فعل شئ . ولذلك كان العالم كله يتفرج من مسافات متباعدة على النار فى الآبار .

ثم إن ساعة الندم لم تأت بعد . فليس قبل شهور تحاسب الشعوب حكامها . فيسألون صدام حسين عن السبب الذى من أجله هدم العراق على جثث ضحاياه . .

وإذا كان الجيش الايرانى قد أوقف الخومينى على قدميه ليلق ظلا كثيفا على الخليج ، فإن هذا الجيش قادر مرة أخرى على أن ينقذ إيران من الخومينى . . كما أن الجيش العراق الذى لم يقدر على حماية العراق ، لن يقدر على حماية الدول العربية الأخرى . .

فكأن هذه الحرب سوف تقضى على رجلين فى وقت واحد : صدام حسين والخومينى . وليست هذه هى المفاجأة . إنما المفاجأة أن تؤدى هذه الحرب إلى أن تتجه الكيانات الصغيرة فى الخليج إلى وجهة أخرى . إلى قبلة لانرضاها !

ومادامت الدول العربية عاجزة عن تحقيق السلام داخلها . فكيف تحققه خارجها ؟ وسوف يبقى هذا السؤال مشنقة لرقاب عرب الخليج . . الا اذا أفاقوا – وسوف يكون ذلك بعد فوات الأوان ! . .

لقد تعجل المسلمون فى إيران والعراق يوم القيامة . فأدخلوا أنفسهم النار وبئس القرار !

□